مسیر الأدب المقارن فی العالم العربی – التحدیات والحلول

Comparative Literature and Its Persistence in Arab World Challenges and Solutions

*د- محمد زبیر عباسی

**عبدالوهاب

Abstract

Comparative literature is of great importance having a great role in modifying cultural and psychological meanings of realms. It is the base which roots to the grounded significances having world-based tests. This paper attempts modifications in comparative literature particularly in Arab context and its necessity of being promoted over the world; challenges faced by it in Arab territories and its solutions.

Keywords: Comparative literature, Arab World, Critical analysis

مقدمة

یعتبر الأدب المقارن من الأسس التی تؤدی نحو توطید الارتباطات الاجتماعیة والصلات الثقافیة والتاریخیة والنفسیة بین الأمم والشعوب کلها. لولم یکن الأدب المقارن لما تعارفت الأمم بعضها بعضا، ولما تتسع آفاق الأدب ذاته. فالأدب المقارن بوصفه أحد أفرع الأدب وإن هو حدیث الولادة الفرنسیة ولکن تصوره لیس بجدید علی الأدب العربی بحجة أن هناك کثیرا من السمات الأدبیة والآلیات النقدیة التی أخذ یبحث فیها الأدب المقارن الیوم قد یجدها القارئ عندما یقلِّب صفحات التراث العربی المزدهر أنه ملیء بها.

ثمة أسئلة عدیدة تتبادر إلی ذهن القارئ عندما یقارن بین الأدب المقارن والأدب المقارن العربی بینما الاسم نفسه یمثل إشکالیة أخری وهی إلی أی مدی یصح وصف الأدب المقارن بـ "العربی" وإطلاق المسمی (الأدب العربی – المقارن) علی الأدب المقارن. کثیرا من النقاد لم یتعرضوا للقضیة رغم استقصائهم دراسة الأدب المقارن ممارسة وتنظیرا وتطبیقا فی الأدب العربی.

ومن المحقق أنه لیس من باب الإنصاف أن تترك القضیة النقدیة الحاسمة کهذه دون تعلیق وتعلیل، وتدرس من خلال تطبیقات الأدب المقارن المقتصرة علی الاتجاهین المختلفین والمتکاملین فی الوقت ذاته: الاتجاه العمودی (الرأسی) والاتجاه الأفقی بغض النظر عن قید التأثر والتأثیر فیها.

ثمة تحدیات کثیرة أیضا تواجه مسیر الأدب المقارن فی العالم العربی، تلك التحدیات تعنی بالتیار الذی یقضی علی هویة الأدب المقارن برمته ممارسة وتنظیرا فی الأدب العربی، وتعیق سیره بین الفینة والأخری.

هذا الموضوع وإن هو فی صلبه لیس بجدید علی الناطق بالضاد، ولکن الغایة التی یرومها من خلال طرح بعض الخواطر والشذرات فی لبوس أشتات السطور السوداء تدعو نحو تفکیر جدید من ناحیة أو بأخراها أو نحو وعی لم یمارسه المتلقی

* الاستاذ المساعد، قسم اللغویات،کلیة اللغة العربیة، الجامعة الإسلامیة العالمیة، اسلام آباد

** الباحث الدکتوراه، قسم اللغویات،کلیة اللغة العربیة، الجامعة الإسلامیة العالمیة، اسلام آباد

العربی من قبل.

إن الأدب المقارن – بادئ ذی بدء – ملفوظ مرکب یدل علی المعنی الأساسی أو المعجمی بتعبیر صریح، فقد عنی به "المقارنة بین آداب أو أدباء مجموعة لغویة واحدة أو مجموعات لغویة مختلفة من خلال دراسة التأثیرات الأدبیة التی تتعدی الحدود اللغویة والجنسیة، السیاسیة". [1] وعند تحلیل هذا المعنی الأصلی للمصطلح یمکن التنصیص علی نقاط تمثل صلب المقارنة الأدبیة حیث تتحقق عند تواجد النقاط الآتیة:

- أن یکون الأدبان فأکثر.
- أن یکون الأدیبان فأکثر.
- تفعیل وسیطة التأثیر بین الأدبین/الأدیبین.
- سمات التفاعلیة ورموز المداخلة شعوریة کانت أو لا شعوریة.
- استهداف کشف سمات الجیو–ثقافیة.
- استلهام ملامح السوسیو–تاریخیة.
- استجلاء إشعاعیات متناصة من خلال البحث فی مواطن الالتقاء بینهما.
- البعد عن عنصری الجنسیة والسیاسیة وغیرهما من العناصر التی تقید الحدود.
- لابد من اختلاف اللغة عند وضع العملین الأدبیین فی میزان المقارنیة.
- الاطلاع المستقیم علی ثقافة صاحب النص، وثقافة نصه وفنیته وأدبیته لیستطیع الدخول إلی عقله ویتمکن من اقتناص خواطره وانفعالاته وأفکاره ودقائق معانیه. [2]
- تواجد التفاعلیة بین طرفی المقارنیة الأدبیة التی یشهدها التأثیر والتأثر (المؤثر والمتأثر). وعند فوات هذا الشاهد لا یصح إطلاق المقارنیة علی الدراسة بمجرد رصد بعض التشابه بین العملین الأدبیین.
- تواجد الرابط التاریخی بین العملین الأدبیین – فأکثر – اللذین وقع الاختیار علیهما لإجراء المقارنیة بینهما. [3]

الشرطان الأخیران وإن اتفق علیهما معظم الناقدین المقارنین العرب وغیرهم ولکنهما لیسا فی صالح کشف الحیویة والأدبیة فی الأدب، لأن دائرة المقارنیة فی الآداب قد توسعت للغایة، ولم یعد یتجاوز ذلك أمری التأثیر والتأثر – وهما من مرتکزات المدرسة الفرنسیة – لمجاوزته الأدب القومی والعالمی. [4]

ظهر الأدب المقارن فی فرنسا فی النصف الأول من القرن الثامن عشر، [5] نتیجة لعوامل عدیدة تعود فی مجملها إلی المناخ الحضاری والثقافی الذی کان سائدا فی ذلك الوقت فی أوربا. أسهمت التحولات المعرفیة والعلمیة فی إثراء العلوم والمعارف والحقول المعرفیة وتبلورها فی الغرب وقتئذ، بحیث أخذت تلك العلوم تتحول نحو التخصصات، ولم یشذ الأدب المقارن عن هذه الظاهرة العامة. [6]

ظاهرة التنافسیة فی خلق بیئة ذات تخصصات علمیة وأکادیمیة مواکبة للإضاءات الجماعیة والفردیة، وما کانت تجری فی السوق آنئذ مع مختلف الارتباطات وتأثیر فی حیاة الإنسان أدت نحو إیجاد التخصصات التی أحدثت ضجة کبری بین الأوساط العلمیة، وهیأت الأسباب والظروف التی سمحت بالأمم قطاف الثمار الیانعة منها علی وجه أقطع وأبصع.

ومن الطبع لم یکن الأدب المقارن فی هذه المرحلة ذا جمود وثبات بل إنه تخصص وحده یحمل بین ثنایاه من الطیع واللیونة والمراس والثبات معا، وهذه الطبیعة هی التی جعلته علما راقیا وأعطته قبولا واسعا وصیتا ذائعا لدی الفرنسیین حیث تنبهوا إلیه بصفته علما مستقلا بعد مجهودات العالم الفرنسی أبل فییمان Abel Villemain ومحاضراته ذات عمق

وجمال ونقد وتفكير فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر فى السوربون بباريس، فطورت فرنسا بعد اطلاعها على قيمة التراث المشترك بينها وبين المناطق الأوروبية الأخرى حيث أحرزت الدرجة الرئيسة فى حمل لواء التفكير المقارنى. [7]

من مفاد الأدب المقارن – العربى

إن الأدب المقارن له دور حاسم فى تأسيس القيم الجمالية والفنية فى العصور المختلفة، من خلال رسم الذوق الفنى عبر تحليل المنهجين المخصصين؛ النقدى والفنى. يقوم الأدب المقارن على الاتجاه الأفقى الذى يبتغى وراء المقارنة بين الأدبين المختلفين أى: للشعبين المختلفين مثل مقارنة الأدب العربى بغيره من الآداب نحو الأدب الفارسى واليونانى وغيرهما.

ومن هنا فإن الأدب العربى يتبوأ المكانة المرموقة والجديرة به بين الآداب لغزارة إنتاجه وعمق جماله، وهذا ما عرفه العرب منذ القدم إلا أنهم لم ينحتوا له اسما ملائما بالمفهوم المتعارف عليه اليوم، إنهم أدركوا كنه ذلك من خلال مواقفهم النقدية إزاء العلاقة الثنائية بين الأدب العربى والآداب الأجنبية، إنهم درسوا تلك الآداب منهجا وموازنة وحوارا مع المناخ الحضارى والثقافى ومارسوها نقدا وحوارا، دراسة وتحليلا.

ومن المحقق أن الأدب المقارن "يعنى بدراسة نقاط الالتقاء بين الآداب والسمات المشتركة بينها فى وقت كان هم كل أمة من هذه الأمم الأوروبية منحصرا فى بيان أوجه الاختلاف والتعارض بين أدبها وآداب غيرها". [8]

إن الأدب المقارن يهيء مسير دراسة تصور الأدب العالمى، فكأنه أرض خصبة للخوض فى هذا الغمار. ومن خلال تطبيق هذا الإبداع العالمى ينكشف الغبار عن الحقائق المجهولة التى تتناقلها الأمم تلو الأمم والأجيال تلو الأجيال.

اليوم ونحن نرى أن الحاجات فى المجتمعات البشرية تنمو وتزداد ولكل حاجة مقتضيات خاصة لابد من إيفائها عندها، وهذا الأمر فى علم الإنسانيات يؤدى بكل وضوح نحو تأصيل منهج التخصصات المتداخلة التى تيسر سبل المعاش وتقضى على عوائق تحول دون قضائها. والأدب العالمى أضحى من أهم التخصصات بغية تقريب العلاقات بين الأمم والدول والقوميات، منطلقا من ذلك بات الأدب المقارن السبيل الرئيس لحل هذا الصعوبة ويمهد الطريق بطريقة طبعية للجيل الصاعد.

طبيعة الأدب المقارن ترفض أن يكون رهن إشارة أمة دون أخراها، أو يقتصر على قوم دون آخر، إنه ميدان فسيح يشمل كل الأمم والشعوب والآداب، إضافة إلى جميع الأدباء والشعراء والمبدعين والكتاب، ومن هنا تتسع آفاق مادة الأدب المقارن، وتصبح مادة غنية ثرية لسمو أفكارها وعلو كعبها.

ومن أهم إيجابيات مادة الأدب المقارن هى أنها تفتح مغاليق الفكر، وتزيل غبار الضيق عن أفقه، وتفتح العقول على العالم الراقى السالف والحاضر والفكر الإنسانى وإنسانية الإنسان الذى يتغذى منه العقل المتقدم.

ومن خلال ترويج الأدب المقارن يمكن القضاء على الخطأ الشائع بين الأمم والأقوام المدعية أن لغتها وحدها تملك كل البلاغة والفصاحة بينما الأخرى أية كانت هذه أو تلك فإنها لا تملك أية قدرة على التعبير ولا تستجيب كل معنى أو خاطر بالإضافة إلى خلوها من وسائل تعبير وتأثير محاجة. [9]

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [10] هذه الآية الكريمة بالذات تدل على معارف وأسرار يقود نحوها الأدب المقارن العالمى ثم العربى، ومن الطبع يمكن القول من خلال التوجيه النصى للآية أن التعارف الوارد فى هذا الجزء يدل قطعا على التيار الثقافى والحضارى والفردى والجماعة بغية كشف الأفضلية التى يملكها كل قوم من العمل والحكمة، وبذلك تصد كل أمة عن نفسها من خلال اتخاذها تلك الحكمة الرائعة والتجربة المتمرسة من أختها جُنَّةً. ونادت مدام

دى ستايل [11] بأهمية التبادل الثقافى بين الشعوب والأمم من خلال تفعيل ظاهرة المقارنية بين آدابها قائلة: "إن الأمم ينبغى أن تستهدى كل واحد منها بالأخرى". [12]

فالأدب ولاسيما الأدب المقارن إنسانى فى جوهره وأصله، لأن له عبق خاص يمثله الأدب بصفته تعبيرا عن الإنسان وإبداعه وحياته ومشاعره وآلامه وآماله وتطلعاته، فالأدب المقارن أساس لرباط الإنسان بالإنسان، إنه هو نقطة التلاقى والالتقاء بين الأمم والآداب. وله دور فى توسع رقعة دوائر المعرفة عن تقريب الوجهات واستلهام مدلولاتها واستشفاف معانيها واستجلاء دلالاتها. [13]

شاع كثير من الأغلوطات التاريخية والثقافية وبخاصة بعد أن لقيت أوروبا حفاوة بالغة ومكابرتهم بين الدول النامية رغم جحود كثير من الباحثين الغربيين فقد أكد أكثرهم الأثر الحاسم للآداب الإسلامية على الآداب الأوروبية، فالأندلس معبر للثقافة الإسلامية إلى أوروبا. [14]

والباحث الذى يدرس الأدب المقارن يجب أن يكون واعيا بثقافة تاريخية واجتماعية عن العصر الذى يدرسه "لكى يستطيع أن يضع الإنتاج الأدبى موضعه من الأحداث التاريخية التى تؤثر فى توجيهه ومجراه". [15]

وعلم الأدب المقارن يبلور أهمية العلوم والفنون، ويهيء تخصصات علمية عديدة ذات قيمة بالغة الأثر، ويفصل الأجناس العلمية – الأدبية مثل علم النفس التاريخى والثقافى والأدبى ثم الأدبى منه بالذات يتفرع إلى أفرع كثيرة مثل علم النفس الأدبى الثنائى والثلاثى والرباعى على أساس المقارنة بين الأدبين/الأدبيين أو الآداب الثلاث/الأدباء الثلاث أو الأربع منها أو منهم.

وهذا التطور الأخير ليس إلا من مبتكرات الأدب المقارن لقدرته الفائقة على التجدد والتكيف واحتضان كل الحقول المعرفية وعبور الآداب والثقافات والمعارف والحضارات.

من تحديات وعوائق فى سبيل تطبيق الأدب العربى – المقارن

وللأسف اليوم إن الأدب المقارن يواجه هجوما شرسا من قبل أبناء أمته وهى العربية حيث سماه بعضهم بالسرقات الأدبية أو التبعية الثقافية أو الغزو الثقافى والفكرى أو هيمنة الفكر المستورد حتى من قاموا بتوجيه الطعن فى دراسة الأدب المقارن إنهم وجهوه إليها عبر طعنهم فى أصالة الأعمال الصادرة من الأدباء العرب والحط من قدرهم الإبداعى.

د/محمد غنيمى هلال – يمثل المرحلة الأولى/المتقدمة من الأدب المقارن العربى وهو رائد المنهجية الحديثة العهد (الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن العشرين)، ولكن المنهجية التى سادت فى كتابات غنيمى هلال إنها ذات منزع فرنسى لتتلمذه على أيدى الكبار الفرنسيين من الأساذة وكان لهم باع طويل فى وضع الحجر الأساسى للأدب المقارن أمثال جان مالى كارى.

د/سعيد علوش – مؤلف "مدار الأدب المقارن".

د/ عز الدين المناصرة – مؤلف "المثاقفة والنقد المقارن".

إنهما يمثلان المرحلة المتأخرة للأدب المقارن العربى.

وقبل تقنين هذه المرحلة للأدب العربى – المقارن ثمة مرحلة أخرى تمثل مرحلة أولى/تلقائية وهى ما تؤرخ الأدب المقارن العربى فى الوطن العربى متمثلة فى كتابات روحى الخالدى وسليمان البستانى ونجيب حداد وقسطاكى الحمصى. [16]

ومن تلك الأعلام علمان بارزان: أحدهما: روحى الخالدى والآخر: سليمان البستانى حيث وضعا حجر الأساس للبحث التطبيقى والعلمى فى مجال الأدب المقارن لتوسيع رقعته دون أن أشارا إلى المصطلح نفسه بكلمة واحدة.

والأدب المقارن فى العالم العربى يحتاج إلى قراءات متوالية شاملة وهى غير مقتصرة على الأفراد بل لابد وأن تكون متداخلة البلاد والمدن والأقوام والأمم والشعوب.

إنتاجات فى الأدب المقارن والإشكالية فيها

ثمة إشكالية أخرى أحدثت رجة كبيرة بين الأوساط الأكاديمية والجامعية، وهى فى ذاتها تتمثل فى أصحاب لواء الأدب المقارن فى العالم العربى.

نرى سعيد علوش وهو ينتمى إلى المدرسة الفرنسية فى الأدب المقارن وهى المدرسة نفسها لغنيمى هلال داعية الأدب المقارن العربى ينتقد حرفية ترجمة الأفكار الفرنسية الواردة فى كتابات محمد غنيمى هلال فى مؤلفه "مكونات الأدب المقارن فى العالم العربى" 1987.

إشكالية أخرى وهى إننا نرى عز الدين المناصرة أنه ينتمى إلى مدرسة التعددية وهى مدرسة حرة استفادت من المنهج الفرنسى الحديث (ما بعد غنيمى هلال) ومن المنهج السلافى الجدلى [17] ومن المنهج الأمريكى بل هو أول من أشار إلى المنهج الألمانى لكنه انتقد هذه المناهج كافة.

أسهمت مقالات الكاتب الشامى خليل هنداوى [18] وفخرى أبو السعود والكتب الثلاثة التى صدرت لنجيب العقيق وعبد الرزاق حميدة وإبراهيم سلامة فى تطوير الأدب العربى المقارن بداية تطبيقية.

ويُعَدُّ هؤلاء من الذين لهم الفضل الكبير فى تأسيس تصور الأدبية المقارنية والتواصلية فى الوطن العربى، إنهم سعوا نحو البحث عن مواطن الالتقاء والتأثير بين الآداب المختلفة. [19]

ثمة أسماء أخرى تلمع على وجه الأرض بصفتها رواد النهضة الفكرية الأدبية المقارنية مثل رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك والشيخ حسن المرصفى وأديب إسحاق وأحمد فارس الشدياق ونجيب الحداد وغيرهم.

إن معظم الإنتاجات التى ترتبط بالأدب المقارن لا تتجاوز دوائر التقليد، وعلى سبيل المثال نرى فى "دراسات فى الأدب المقارن" 1963م، لمحمد عبد المنعم خفاجة، و"الأدب المقارن" 1967م، لحسن جاد حسن هما يعتمدان بشكل لصيق على كتابات غنيمى هلال، ولا يحيدان عنها قيد أنملة.

ثمة إبداعات أخرى مثل:

جمال الدين بن الشيخ – دفاتر جزائرية فى الأدب المقارن، 1965م.

طه ندا – الأدب المقارن، 1975م.

بديع محمد جمعة – دراسات فى الأدب المقارن، 1978م.

إبراهيم عبد الرحمن محمد – الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، 1978م.

أحمد درويش – الأدب المقارن – النظرية والتطبيق، 1984.

من المآخذ على هذه الإصدارات والأبحاث والمصنفات باستثناء ما جاء به ابن الشيخ – أنها تشتمل على الرؤية الأحادية.

ثمة تحديات سافرة أخرى لابد من حلها أو القضاء عليها ليسير الأدب المقارن سيرا طبعيا، منها:

الخوف على ضياع الثوابت العربية الأدبية والنقدية والجمالية من الخطر الكبير الذى تجسده تيارات الثقافة الوافدة.

عمق التحولات الكبيرة التى شهدتها ميادين المعرفة المختلفة الأشكلة الغربية، إذ كان الواقع كذلك فيفرض جهودا قرائية متأنية ومضاعفة لفهم تلك التحولات واستيعابها إضافة إلى قراءة تفاعلية واعية وتطويعها بما يتناسب مع الواقع الثقافى العربى وخصوصيته مقيمة توازنها الخاص بين أن تكون مأخوذة بالانبهار أو منغلقة على ذاتها.

هاتان المشكلتان رئيستان اللتان بدأتا تعيقان مسير الأدب العربى – المقارن.

ترويج الأدب المقارن يحتاج إلى خلق بيئة مقارنية وهى ما لا تنسجم معها طبيعة العربية بعد أن شاع بين أصحابها أنها أم اللغات، وغيره من التلاعب العقلى الذى صار مرصادا لأصحاب العربية حيث رأوا أنفسهم أهل شعر وأدب، فكأنهم استحالوا تصور وجود شعر أو أدب لدى الأقوام الأخرى.

ثمة تعارض بين الآراء والاقتراحات تجاه تحديد هذا المصطلح. وبعد أن ثبت المصطلح واستقر مفهومه – لحد ما – ثم انتقل المصطلح حاملا ذاك المفهوم المبدئى وما أضفى الباحثون والنقاد عليه إلى آداب العالم الأخرى ولاسيما العالم العربى، اقتضى كل ذلك من النقاد العرب أن يقوموا بتعديل المصطلح فى حال مساس الأمر لذلك وإلا فيقبلوا دون استبداله بمصطلح آخر فيأتوا له ببديل مناسب ومنسجم مع طبيعة ذلك النوع من الأدب.

وينبغى أن تسمى الدراسات المقارنية فى العالم العربى بالأدب العربى المقارن، وذلك لأن المضمون والتعبير أمران؛ أحدهما: الأدب وأدبية الأدب، والآخر: أدبية الثقافة العربية أو الإبداع العربى الممزوج بغيره. كلما تحقق هذا الأمران معا تحقق معها تصور الأدب المقارن أو الدراسة المقارنية. [20]

وبالنسبة لمصطلحين آخرين اقترحهما رائد الأدب العربى المقارن محمد غنيمى هلال من "التاريخ المقارن للآداب" أو "تاريخ الأدب المقارن" فى مؤلفه "الأدب المقارن" حيث احتذى فى ذلك حذو بول فان تييغم Paul Van Tieghem وهو اقترح قبلُ مصطلحاتٍ أخرى مثل "تاريخ الأدب المقارن"، و"التاريخ الأدبى المقارن"، و"تاريخ المقارنة"، وغيرها طاعنا فى المصطلح الشائع "الأدب المقارن" على أنه ضعيف الدلالة والمطلب. [21] ولعله رأى ذلك بناء على أن الأدب المقارن يدرس مواطن التلاقى والتداخل والتناصص بين الآداب بمختلف أجناسها مثل الأقصوصة والقصة القصيرة والقصة والمسرحية والشعر وهلم جرا، وكذلك الأدباء بمختلف هوياتها فى اللغات العديدة. بالنسبة للآخر فمن الطبع إنه بعيد عن غاية الأدب المقارن، أما الأول فمن غير أدنى شك إنه مقبول حيث يتناول جانبا هاما من جوانب المقارنة وهو عنصر التاريخ، فالتاريخ أساس لدراسة المقارنية، ولا يتصور ذلك من دونه، ولكن لا يعنى ذلك الارتباط الوثيق أن المقارنة هى مصب دراسة التاريخ بل إن التاريخ من أهم الأسباب التى تؤدى نحو القيام بالدراسة المقارنية. [22]

وهذا الأمر يجر المتلقى نحو القول الصفى فى ذلك هو إن المقارنية لها عناصر أخرى غير عنصر التاريخ، وهو أحدها. فلابد لدراسة المقارنية فى الإبداعات الأدبية من مراعاة تلك العناصر فى تخوم الأدبين اللذين يقارن بينهما على وجه من الوجوه.

والجدير بالذكر ههنا أن مقرر الأدب المقارن قبل محمد غنيمى هلال فى العالم العربى ظهر فى رحاب دار العلوم بالقاهرة سنة 1938م، ثم اختفى المصطلح فظهر فى كتاب "من الأدب المقارن" لنجيب العقيقى، وهذا الكتاب لم يكن مرجعا أصيلا فى موضوعه حيث لم يتعرض له أساسا بل إنما كان إلمامه بشذرات من الأدب العام والنقد النظرى الذى لا يمت إلى مقارنية الآداب بصلة من صلات التأثير، ثم ظهر كتاب عبد الرزاق حميدة بعنوان "فى الأدب المقارن" فى عام 1949م ثم تلاه كتاب مقارنى لإبراهيم سلامة إلى أن جاء كتاب محمد غنيمى هلال بعنوان "الأدب المقارن"، فعالج

موضوع الأدب المقارن بطريقة ذات صلة مباشرة بالموضوع والعنوان، فأخذ يعتبر كتابا أساسيا فى الأدب المقارن، رغما عن ذلك فإن كتابه وإن كان ذات قيمة بالغة ولا يعنى أبدا إهدار شيء من مكانته العليا ومنزلته السامية إلا أنه كتاب يكاد أن يكون نتاج شذرات معرفة مقارنية ذات منزع غربى وأجنبى.

الخاتمة:

ينتهى هذا الموضوع إلى بعض النتائج، ومن أهمها ما يلى:

1- أن يتم إنشاء كرسى الأدب المقارن – الأدب المقارن العربى على شاكلة إنشاء كرسيه بجامعة السوربون بفرنسا، وجامعة هارفرد فى أمريكا وغيرهما من الجامعات الأخرى، والآن لا يكاد يخلو أى برنامج تعليمى فى جامعة من الجامعات فى العالم من دروس أساسية فيه. [23]

2- إن الأدب المقارن – العربى يتطلب من الباحث أن يكون مزودا بثقافة تمكنه من ارتياد مجالات ذاك الأدب، وهذا لا يتحقق دونما تطبيق ذاك الأدب نفسه فى البرامج الأكاديمية.

3- تطبيق الأدب المقارن يعطى فكرة نظام تعليمى متداخل الاختصاصات، وهذه الفكرة هى أسوة حسنة فى العصر الراهن حيث تجعل الدارس يتكيف مع المجتمع دون صعوبة أو ضيق.

4- هذا الأدب المقارن يؤدى نحو مواكبة العصر والقضاء على العصبية المميتة التى تأتى بكل شر.

5- إن الأدب المقارن يحقق الرباط بين الشعوب الأقوام والأمم، ويزيل الغربة من بينها، ويوطد العلاقات بين بنى الإنسان كلهم.

6- من جوامع الكلم: الحكمة ضالة المؤمن، ينبغى أن يتخذ ذلك مرجعا ومصيرا للسير على الآداب العالمية وتأثير العربية بها وبالعكس.

7- إن الأدب المقارن – العربى يستطيع أن يعرض حلول المشكلات السياسية والثقافية التى باتت جوهر المساءلة والمناقشة بين الأمة العربية الإسلامية والأمة التى تنادى نفسها يهودية أو مسيحية.

8- إن تبادل التأثير بين الآداب التى تمثلها الروايات الحديثة العهد وهى تنقل الأحداث الدائرة فى فلك المجتمع أو المجتمعات المتقاربة أو المتباعدة حيث تساعد على إذكاء الحيوية بينها وتهدى إلى تفاهم الشعوب فى تقاربها الفكرى والمدنى والحضارى والثقافى والتاريخى. إن الأدب المقارن عامل من العوامل الرئيسة التى لها تأثير قوى فى تقويم دراسة المجتمعات البشرية وتفهم الإنسانية المتفاعلة فيها. [24]

9- إن الغرب ولاسيما المستشرقين المتعصبين كانوا مصرين على رد نظريات ورؤى ما انطلقت إلا من الشرق، لكن بعد تيقن المعاش فى القرية الكونية بدأ يغير هذا التوجه القديم ويبعث فيه روحا جديدة ليكون حتما منبعا نقيا من الشوائب والزلل ويرسم له توجه جديد له جغرافية جديدة، واليوم إن الأصداء المترددة فى البلاد مشارقها ومغاربها تزحف نحو العناية بعناصر الشمولية والعالمية والمقارنية لتأطير الموروث الأدبى الإنسانى العالمى الناجم من تصور العولمة المهيمنة.

10- أن تحدد المصطلحات المتقاربة والمتماثلة للأدب المقارن مثل الموازنة لاقتصارها على اللغة الواحدة والأدب القومى الواحد، فى حين أن الأدب المقارن يكون بالمقارنة بين أدبين أو أدبيين مختلفين.

11- أن يوضع فرع من أفرع الأدب على سبيل الاستقلال ويسمى ذلك بالأدب الموازن، وتوضع له أصول وقواعد وثوابت غير أصول وضوابط وقوانين يمارسها الأدب المقارن فى العصر الراهن تجنبا من الالتباس بين المصطلحين

القريبين.

12- ثمة فرع آخر يمكن أن يترتب على هذا الأدب الموازن وهو المقارنة بين تلك الموازنات الأدبية، وبذلك تتسع آفاق المعرفة والعلم والدراسة والبحث نحو المقارنة بين الموازنتين؛ الموازنة بين (أبى تمام والبحترى) فى الأدب العربى والموازنة بين (راسين وكورى) فى الأدب الفرنسى.

13- تأصيل الأدب العربى – المقارن من خلال استقصاء جميع أوجه الشبه والاختلاف بينه وبين غيره من الآداب، وإبعاده عن إيديولوجيات موجبة أو سالبة أنتجتها فرنسا وحمَّلت تصور الأدب المقارن بحمولاتها.

14- لابد من التمييز بين الفروع الثلاث فى الدراسات الجامعية والتخصصية مثل "الأدب العام"، و"الأدب العالمى"، و"الأدب المقارن"، لأن مفهومات هذه المصطلحات ما زالت مختلطة فى بعض الجامعات العريقة. مصطلح "الأدب العام" يكاد ينحصر فى الدلالة على بعض أنساق المعرفة والأدب التى يستعصى على الدارس إحصاؤها من باب الأدب القومى أو العالمى أو المقارن. أما مصطلح "الأدب العالمى" وضعه جوته Goeth قاصد به الروائع الأدبية العالمية التى نالت قبولا فى كل أنحاء العالم. ويمكن إدراج تلك الأعمال الأدبية العظيمة فى الأدب المقارن بغية تأطير نمو التبادل الثقافى وغيره.

15- إن الأدب المقارن يفتح أبواب الدخول إلى ميادين علمية وحقول معرفية أخرى تتراءى بدهيا أنها تصلح أن تكون فروعا علمية ومقررات دراسية مستقلة لسعة دوائرها التطبيقية فى العصر الراهن، مثل أدب الرحالة والوثائق والأفلام والمسلسلات والشعارات واللافتات المرفوعة والمنصوبة وغيرها لكونها ذات أثر بالغ فى تبادل مستجدات الحضارات والثقافات وتلاقح بعضها ببعضها الآخر.

الهوامش

[1]- أحمد زلط، الأدب المقارن نشأته وقضاياه واتجاهاته، الحكاية الخرافية أنموذجا، هبة النيل العربية – الجيزة، سنة الطبع 1005م، ص 48.

[2]- محمد عبد السلام كفافى، فى الأدب المقارن دراسات فى نظرية الأدب والشعر القصصى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1971م، ص 28-29.

[3]- فى الأدب المقارن دراسات فى نظرية الأدب والشعر القصصى، ص 25.

[4]- ينظر: عيسى الدودى، فضاءات الأدب المقارن، دار النشر الجسور، وجدة، الطبعة الأولى، 2007.

[5]- محمد سعيد جمال الدين، الأدب المقارن دراسات تطبيقية فى الأدبين العربى والفارسى، دار ثابت للنشر والتوزيع – القاهرة، ص 7. ويراجع فى نشأة الأدب المقارن عند الغرب: محمد غنيمى هلال، الأدب المقارن، الطبعة الخامسة، دار العودة ودار الثقافة، بيروت – لبنان، 1981م. أيضا: أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن وتجلياتها فى الأدب العربى، دار غريب للطباعة، القاهرة، سنة الطباعة 2002م.

[6]- A History of French Literature, P. 272.

[7]- وفى تفصيل جذور الأدب المقارن لدى الغرب يراجع: حسام الخطيب، الأدب المقارن، دمشق، 1981-1982م. والجدير بالذكر هنا أن الدكتور حسام الخطيب له إسهامات ثمينة فى تطوير الفكرة المقارنية والأدب المقارن فى الوطن العربى، وله مؤلفات عريقة عبارة عن مساعيه الجادة والمخلصة لخدمة هذا الأدب الجديد فى الوطن الغريب (العربى). ويراجع كذلك:
Gerald Brenan, The Literature of the Spanish People: From Roman Times to the Present Day, Publisher Cambridge; New York: Cambridge University Press, Edition: 2nd, P. 82.

[8]- الأدب المقارن دراسات تطبيقية فى الأدبين العربى والفارسى، ص 8.

[9]– في الأدب المقارن دارسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، ص 40.

[10]– سورة الحجرات، الآية 13.

[11]– هي جيرمين نيكر ستايل Germaine Necker style (1766–1817) عرفت بمدام دي ستايل Madame de Staël فيما بعد. كانت داعية إلى عالمية الأدب بحجة مجاوزة الآداب القومية والوطنية إلى آداب خارجية، وناقدة فرنسية وروائية شهيرة في مطلع القرن التاسع عشر، وهي من الأوائل الذين اهتموا بما يعرف الآن بالأدب المقارن.

[12]– نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، ص 22.

[13]– في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، ص 26–27.

[14]– Robert Anderson Hall Jr, A Short History of Italian Literature, Publisher: Literary Licensing, LLC (September 8, 2012), P. 152.

[15]– يراجع في العلاقة بين العرب والأدب المقارن "الفصل الأول" من الكتاب "العرب والأدب المقارن" لـ عبد النبي اصطيف، الناشر: وزارة الثقافة/الهيئة العامة للكتاب دمشق 2007م.

[16]– الأدب المقارن دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، ص 51. ويراجع كذلك مقال منشور على الشبكة بعنوان: "نظرية الأدب المقارن في كتابات المقارنين العرب (محمد غنيمي هلال–عز الدين المناصرة–سعيد علوش)" للدكتور إبراهيم أنيس الكاسح، رأى اليوم (http://www.raialyoum.com/?p=549075)، بتاريخ **OCTOBER 25, 2016**، راجعنا المقال على الشبكة بتاريخ JANUARY 12, 2018.

[17]– ويقصد بذلك الاتجاه الروسي أو السلافي أو ما يسمى بالمدرسة الروسية أو السلافية، والتي ظهرت في روسيا وبلدان أوروبا الشرقية الاشتراكية. يراجع في تفاصيل ذاك الاتجاه وأثره في تأسيس هذا المنهج وعلاقته بالأدب المقارن وملماته تأثرا وتأثيرا: عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1999م، ص 40 وما بعدها.

[18]– إنه أول من استعمل مصطلح الأدب المقارن عندما نشر مقالا له في مجلة "رسالة" سنة 1936م، والذي يحمل عنوانا متميزا: "ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي".

[19]– في الأدب المقارن دراسة نظرية الأدب والشعر القصصي، ص 29.

[20]– في الأدب المقارن نظرية الأدب والشعر القصصي، ص 31.

[21]– اقترح ماريوس فرانسوا غويار M. F. Guyard مصطلحا بديلا هو "تاريخ العلاقات الأدبية الدولية"، ثمة أمر مشترك بين جميع هذه المقترحات المصطلحية وهو عنصر "التاريخ"، رأى أولئك اللائذون بالأدب المقارن أنه لا يمكنه التخلي من التاريخ، كلما يزرع الأدب المقارن أو يحصد ينتهي الأمر إلى دراسة الصلات التاريخية المتبادلة والمتفاوتة والمتداخلة والمشتركة على أساسي التأثر والتأثير.

[22]– في الأدب المقارن نظرية الأدب والشعر القصصي، ص 25.

[23]– في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، ص 20.

[24]– محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة، سنة الطباعة 2005م، ص 27.